من تجارب غيثان بن جريس في ميادين الجمع والتأليف والطباعة ، والنشر والتوزيع

(١٣٩٦ – ١٤٣٧ هـ / ١٩٧٦ – ٢٠١٦ م) (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٦م). (الجزء العاشر)، ص ص ١٨٣ – ٢١٠ . (الطبعة الثانية/ ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م)، ص ص ١٧٤ – ٢٠٢ .

ثانياً : من تجارب غيثان بن جريس في ميادين الجمع والتأليف ، والطباعة ، والنشر والتوزيع (١٣٩٦- ١٤٣٧هـ/ ١٩٧٦- ٢٠١٦م) .

م	الموضوع	رقم الصفحة
أولاً :	المقدمة	١٨٣
ثانياً :	في مجال الجمع والتأليف.....	١٨٤
	١. مرحلة ما قبل الدكتوراه.....	١٨٤
	٢. مرحلة ما بعد الدكتوراه	١٨٨
ثالثاً	تجارب الطباعة	٢٠٢
رابعاً :	تجارب النشر والتوزيع	٢٠٧
خامساً:	الخاتمة	٢١٠

أولاً : المقدمة :

نعمل في مجال الدراسة والتعليم والتعلم العالي أكثر من أربعين عاماً (١٣٩٦ -١٤٣٧هـ/ ١٩٧٦-٢٠١٦م). وفي هذه الفترة الزمنية قابلنا العديد من الصعاب من أجل الترقي في سلم التعليم ، وبعد أكثر من عشرين عاماً حصلنا على درجة الأستاذية ، عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ، وقبل هذا التاريخ وبعده عملنا في ميادين الجمع والتأليف ، والطباعة والنشر للعديد من الكتب والبحوث العلمية ، ثم توزيع الكثير من ذلك النتاج العلمي[١]. وفي الصفحات التالية نسرد بعضاً من خبراتنا في هذا الميدان خلال العقود الأربعة الماضية (١٣٩٦-١٤٣٧هـ/١٩٧٦-٢٠١٦م) .

---

(١) للمزيد عن نتاج غيثان بن جريس العلمي أنظر عدد من المؤلفات من إعداد الأستاذ محمد بن معبّر ، مثل: (١) مؤرخ تهامة والسراة . غيثان بن علي بن جريس (دراسة توثيقية) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م). (الطبعة الأولى) (٦٢٠صفحة) . (٢) مواكب الأقلام (قراءة وتعليقات في التاريخ الإسلامي . بمكتبة الدكتور/ غيثان بن علي بن جريس العلمية (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الأولى) (٥٢٥صفحة) .(٣) وثائق غيثان بن جريس الخاصة (الرياض :=

ثانياً : في مجال الجمع والتأليف :

١ـ مرحلة ما قبل الدكتوراه :

بدأنا منذ عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) ندرس كتب التراث الإسلامي ، وبخاصة الكتب التاريخية والأدبية واللغوية. وفي مرحلة البكالوريوس (١٣٩٦- ١٤٠٠هـ / ١٩٧٦-١٩٨٠م) تدربنا على إعداد إجابات مقالية في صفحات محدودة تصل أحياناً إلى العشر والعشرين صفحة ، وتلك الإجابات تقوم على أسئلة محددة تؤخذ من كتب ومذكرات مقررة من أستاذ كل مادة أكاديمية ، كما كُلفنا أيضاً من بعض أساتذتنا آنذاك بإنجاز بعض البحوث وبخاصة في السنتين الثالثة والرابعة من تلك المرحلة ، وتلك الأبحاث كانت التجربة الأولى في الرجوع إلى المصادر والمراجع ، ثم إعداد خطة محدودة للبحث ، وما تم إنجازه من بحوث أو دراسات في مرحلة البكالوريوس يشوبه النقص ، وغالباً السطحية ، وذلك لقلة خبرة الطالب في مناهج البحث العلمي [١] .

ذهبت في عام (١٤٠١هـ/١٩٨١م) إلى جامعة أوستن (University of Austin) في ولاية تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية ، وفي قسم التاريخ في تلك الجامعة بدأت أدرس مرحلة الماجستير، والتقيت ببعض الأساتذة الأمريكان المميزين علمياً ، وبدأوا يكلفوننا ببعض البحوث العلمية العميقة ، ويعطوننا كل أسبوع توجيهات عامة تجبرنا على الرجوع إلى المكتبة المركزية في الجامعة ، وإعداد أعمال بحثية في موضوعات محددة ، وفي عدد من البحوث الأولى التي أنجزناها آنذاك ، قابلنا الكثير من العقبات ، وذلك لجهلنا بالكثير من مناهج البحث العلمي الجيدة ، والبعض من أساتذتنا كانوا خير عون لنا في اجتياز بعض تلك العقبات ، وأساتذة آخرون كانوا

= مطابع الحميضي ، ١٤٣٦.٣٥هـ/٢٠١٤.٢٠١٥م) (ثمانية مجلدات في خمسة آلاف صفحة) (الطبعة الأولى). (٤) دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور/ غيثان بن جريس العلمية (١٤٠١ـ١٤٣٥هـ/١٩٨١ـ٢٠١٤م) (بيلوجرافيا مشروحة) (الرياض : مطابع الحميضي ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م) (الطبعة الأولى) (٥٥٠صفحة) .

(١) درسنا آنذاك مادة تسمى : منهج البحث التاريخي ، وتعلمنا بعض النقاط الأولية مثل: اختيار البحث ، وجمع المادة العلمية وتبويبها ، والهدف من كتابة المقدمة والخاتمة ، وأهمية الحواشي وكيفية توثيقها. ودراسة مثل هذه الجوانب نظرياً تحتاج إلى تدريب وتطبيق عملي ، وهذا ما كنا نجهله ولم نتدرب عليه .

غير متعاونين وقاسين في تعاملهم معنا ، وفي الحكم علينا بالفشل في كل ما أنجزناه في ميدان الدراسة والبحث [١] .

لم نستطع مواصلة الدراسة في جامعة أوستن ، وانتقلنا في نهاية عام (١٤٠٣هـ /١٩٨٣م) إلى جامعة إنديانا في مدينة بلومنجتون (Bloomington) في شمال الولايات المتحدة الأمريكية وقضينا سنتين في قسمي التاريخ والدراسات الشرقية ، وتعلمنا أساليب كثيرة في إعداد البحوث العلمية. وفي تلك الفترة أصبحنا أفضل إدراكاً في ميدان إعداد البحوث ، لكننا مازلنا نحتاج إلى تدريب أكثر وأعمق.

وعند الحصول على درجة الماجستير في التاريخ من جامعة إنديانا عام (١٤٠٥هـ/٨٥م) عدنا إلى قسم التاريخ في كلية التربية ، فرع جامعة الملك سعود بأبها ، ومارسنا التدريس في القسم لمدة عام ونصف . وفي تلك الفترة (١٤٠٥-١٤٠٦هـ / ١٩٨٥-١٩٨٦م) كان لنا محاولة إعداد كتاب عن أمراء العراق في عصر الدولة الأموية مثل: **المغيرة بن أبي شعبة ، وزياد بن أبيه ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، وخالد بن عبد الله القسري وغيرهم. كما سعينا إلى إعداد كتاب آخر عن أسرة آل المهلب** ، ولكن انشغالنا بأعباء عديدة ، خاصة وعامة ، ثم ذهابنا إلى بريطانيا لإكمال درجة الدكتوراه ، جعلنا نترك هذين الكتابين في مسودتيهما الأوليتين ، ولم نستكمل هذا المشروع .

ذهبت عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) إلى جامعة مانشستر (University of Manchester) في المملكة المتحدة (بريطانيا) للحصول على درجة الدكتوراه ، وبدأت العمل مع الأستاذ الدكتور بوزوورث(C.Bosworth) [٢]، في موضوع بعنوان (**التاريخ الاجتماعي،**

---

(١) مكثنا في جامعة أوستن تكساس أكثر من سنتين ، درسنا فيها اللغة الإنجليزية وبعض المواد في مرحلة الماجستير ، وصعوبة الجامعة ، وتعقيدات بعض الأساتذة الأكاديميين في قسم التاريخ جعلتنا نخرج منها ونذهب إلى شمال الولايات المتحدة الأمريكية ، في جامعة إنديانا بولاية إنديانا في مدينة بلومنجتون (University of Indiana – Bloomigton) .

(٢) هذا الأستاذ إنجليزي الجنسية ، من المستشرقين الأكاديميين المشاهير، يجيد العديد من اللغات ، ومتخصص في تاريخ الشرق الأوسط وبلاد إيران وما جاورها ، له العديد من المؤلفات ، وكان يتولى رئاسة=

والحرفي،والتجاري في الحجاز خلال العصر العباسي الأول(١٣٢-٢٣٢ هـ /٧٤٩-٨٤٧م) .
The Social Industrial and Commercial History of Hijaz Under The Early Abbassids(132-232A.H/749-847).

مكثت سنتين في إعداد هذا البحث ، وقد حصلت على العديد من الفوائد العلمية والبحثية في إعداد رسالة الدكتوراه ، ومن أهم تلك المكاسب ما يلي :

١■ زاملت العديد من الطالبات والطلاب الجيدين المثابرين على إنجاز أعمالهم وبحوثهم على أكمل وجه ، وتعلمت الشيء الكثير من أولئك الزملاء ، الذين جاءوا من بلدان ومؤسسات تعليمية أكاديمية في أوربا وأمريكا وإفريقيا وآسيا .

٢■ العمل مع الأستاذ بوزوورث جعلني أتعلم مناهج عديدة في مجال البحوث والدراسات ، وأيضاً اجتهاده ونشاطه ومثابرته على عدم ضياع أوقاته جعلني أتأثر به في هذه الصفات أثناء دراستي في مرحلة الدكتوراه ، وبعد رجوعي إلى المملكة وعملي في جامعتي الملك سعود ، والملك خالد (١٤٠٩-١٤٣٧هـ/ ١٩٨٩ - ٢٠١٦م)[١] .

٣■ كان بوزوورث من وقت لآخر يحضر لنا بعض المستشرقين المشاهير في أوربا أو أمريكا ، وأحياناً بعض بلدان العالم العربي والإسلامي وذلك من أجل عقد (سمنار) أو إلقاء محاضرة أو محاضرات علينا في أي مجال من مجالات التاريخ والحضارة أو التراث الإسلامي ، وفي خلال عامين قابلنا العديد من هؤلاء العلماء الذين يتفاوتون في علومهم وتخصصاتهم وكذلك معتقداتهم وأفكارهم

= تحرير الموسوعة الإسلامية ، الطبعة الثانية . يمتاز بحسن الخلق ولطف المعشر ، وتراه دائماً يبحث ويراجع دراساته ورسائل طلابه ، ويشرف على طالبات وطلاب كثيرين ، وجميعهم من بلدان العرب أو العالم الإسلامي . ويدين بدين النصرانية ، وقد تناقشت معه عن الإسلام ، وهو ملم بالكثير من العلوم الإسلامية ، وقلت له: هل فكرت أن تدخل الإسلام ؟ فكان رده لطيفاً ، وقال الإسلام والنصرانية من الأديان السماوية ، وحرص على تجنب الحديث في الموضوع وعدم الاسترسال فيه ، فتركته ولم أكلمه مرة أخرى في هذا الجانب .

(١) الاجتهاد والمثابرة من الصفات التي أحرص على تحقيقها منذ المرحلة الابتدائية ، لكن تنوع المدارس التي تعلمت فيها ، ثم مقابلتي العديد من الأساتذة الأكفاء المميزين في كل من أمريكا وبريطانيا ، وتوفر البيئات العلمية المناسبة في تلك البلدان كل هذا زاد في اهتمامي والحرص على الاستفادة من وقتي وممن التقى بهم وقد يفيدونني علمياً ومعرفياً سواءً كانوا أساتذة أو طلاباً أو باحثين أو مثقفين أو غيرهم .

وتوجهاتهم [١] ، وعند الالتقاء بهم والسماع لأطروحاته ، ومعرفة سيرهم وإنجازاتهم كل هذا بث عندي العمل بجد واجتهاد ، والسعي إلى إنجاز ما يمكن إنجازه في مجال تخصصي [٢] .

■ توفر المكتبات العريقة في الغرب وبخاصة في أوربا مثل بريطانيا تجعل الباحث لا يجد أي عناء في الحصول على ما يخدم علمه وبحثه . ومن خلال تجوالي واطلاعي على مكتبات عديدة في المملكة المتحدة مثل: مكتبة جامعة مانشستر ، ومكتبات جامعات لندن ، وكمبرج ، وإكسفورد ، وليدز ، وأدنبرة ، وجلاسجو وغيرها ، وذلك مما يجعل الإنسان يصاب بالذهول لما تحويه تلك المكتبات من علوم ومعارف تخدم الإسلام والتراث الإسلامي [٣] . وكذلك تعامل القائمين عليها ، فتراهم يبذلون قصارى جهودهم في خدمة البحث والباحثين [٤] .

---

(١) بعض أولئك الأساتذة والمحاضرين كانوا يحملون أفكار كراهية وعدوانية للمسلمين وتراثهم ، ولمسنا ذلك في أقوالهم ونظرياتهم ودراساتهم ، وتناقشنا مع بعضهم واختلفنا معهم . والجميل إن حوارهم راقٍ ومؤدب حتى لو اختلفوا معك في دينك وما تؤمن به .

(٢) عندما كنت أحضر محاضرات بعض المستشرقين الزائرين لنا في قسم الدراسات الشرقية في جامعة مانشستر، وأسمع عن إنجازاتهم وسيرهم . يعود بي التفكير إلى بلادنا في المملكة العربية السعودية ، وأقول إن أوطاننا بكر في ميادين علمية كثيرة ، وهي بحاجة إلى أبنائها لخدمة أرضها وسكانها، والواجب علينا معاشر الباحثين والأكاديميين أن نبذل قصارى جهودنا في خدمة بلادنا، وعمل كل ما يعود عليها بالنفع والفائدة.

(٣) من خلال اطلاعي على محتويات بعض هذه المكتبات ، وجدتها تحتوي على عشرات الآلاف من المخطوطات العربية والفارسية، كما يتوفر بها آلاف المصادر والكتب النادرة ، ناهيك عن المراجع والبحوث في الدوريات العلمية فهي أيضاً متوفرة بشكل كبير، وجميع هذه المصادر والمراجع متوفرة بين أيدي الباحثين، وهناك عشرات الموظفين في كل مكتبة يقومون على ترتيبها وتصنيفها ، ومساعدة كل من يرتاد هذه المكتبات من طالبات وطلاب المعرفة . وإقامتي في مانشستر عامين واطلاعي على الكثير من محتويات بعض المكتبات الجامعية في عموم بريطانيا ، جعلني أطلع على معظم كتب التراث الإسلامي ، وكذلك اقتنى الكثير منها .

(٤) من تجربتي العلمية في كل من أمريكا وبريطانيا ، وجدت أن الجامعات والمكتبات الأوربية أفضل وأغنى في خدمة الدراسات الإسلامية والعربية والتراث الإسلامي ، وذلك لما تحتويه تلك المكتبات من مخطوطات وكتب عربية وإسلامية (قديمة وحديثة) . وعندما أريد الحصول على مخطوط أو كتاب (مصدر ، أو مرجع) أو دراسة علمية منشورة في دورية علمية فلا أجد أي صعوبة في الحصول عليها ، وإذا قابلنا مشاكل لعدم وجودها في مكان ما ، فإن القائمين على المكتبات المركزية في الجامعات يسعون إلى توفير ما نريد من داخل أوربا أو خارجها . والخدمة نفسها تتوفر في جامعات أمريكا أيضاً . وأثناء إقامتي في مانشستر من عام (١٤٠٧-١٤٠٩هـ/١٩٨٧-١٩٨٩م) اتصل بي العديد من الباحثين وطلاب الدراسات العليا في المملكة العربية=

حصلت على درجة الدكتوراه في نهاية عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، وعدت للعمل في قسم التاريخ، كلية التربية ، فرع جامعة الملك سعود في أبها. وكنت قد جلبت معي الكثير من المخطوطات والمصادر العربية ، والمراجع الثانوية المتنوعة في لغاتها ، وكذلك العديد من الدراسات والبحوث المنشورة في مجلات علمية أكاديمية ، بالإضافة إلى عشرات الصور الفوتوغرافية ، ومئات الوثائق التاريخية الحديثة التي حصلت عليها من بعض الأراشيف الأوربية وبخاصة الأرشيف البريطاني[١] .

٢ـ مرحلة ما بعد الدكتوراه

في فترة ما بعد الدكتوراه ، كان المجال أمامنا فسيحاً ، فهناك آلاف الطلاب الذين ندرسهم في علوم التاريخ والحضارة ، وهناك زملاء متخصصون في مجالات تاريخية عديدة ، بالإضافة إلى بيئة خصبة لإنجاز دراسات حضارية وتاريخية متنوعة، ونقصد بالبيئة أي منطقة عسير وما يحيط بها من مناطق الجنوب ، فهي من البلدان التهامية والسروية التي لم يلتفت إليها مدونو التراث العربي الإسلامي ، فلا يذكرونها في

= السعودية، ودول الخليج ، ومصر ، والأردن ، وكان بعضهم يريد الحصول على صورة من مخطوطة محددة ، أو كتاب ، أو دراسة علمية أكاديمية ، وعندئذ لا أجد عناء في الحصول عليها ، فإذا وجدتها في جامعة مانشستر ذهبت وأحضرتها وأرسلتها لمن طلبها ، وأحياناً يطلب القائمون على المكتبة دفع بعض الجنيهات البسيطة مقابل الإعداد أو التصوير ، وعند الدفع يحضرون لك ما طلبت ومعه بعض عبارات التقدير والشكر اللفظية وأحياناً مكتوبة . وفي بعض الأحيان توجد مثل هذه المواد المطلوبة في جامعات أخرى في بريطانيا ، ولا يحتاج الأمر منك إلا أن تهاتف المسؤول عن طلبك ، وترسل لك بكل لطف ورحابة صدر . ولو قارنا وضع تلك البلدان وبلداننا في خدمة البحث والباحثين ، فإن الفرق شاسع حيث يوجد في أوطاننا الكثير من التعقيدات والأنظمة البيروقراطية التي تجعل الباحث لا يحصل على طلبه إلا بعد مشقة كبيرة .

(١) التخصص الذي ذهبت لدراسته في أمريكا وبريطانيا ، هو التاريخ الإسلامي ، وكنت أدرس وأبحث في التاريخ الإسلامي منذ عام (١٤٠٣.١٤٠٩هـ/١٩٨٣.١٩٨٩م) . وكان لزاماً عليّ أن ألتزم بهذا التخصص . وعندما حصلت على الدكتوراه كنت قد قرأت العديد من كتب التاريخ الحديث ، وجمعت بعض الوثائق الحديثة عن تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، وجمعت في البداية هذه المصادر من باب حب الاقتناء ، وبعد رجوعي إلى أبها عام (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م) بدأت الفكرة تتغير، وبدأ الاهتمام بجمع بعض الوثائق والمصادر والمراجع في التاريخ الحديث ، مع أنني أعلم أنني لن أترقى إلى درجة أستاذ مشارك ، أو أستاذ إلا بإنجاز دراسات أكاديمية في مجال تخصصي الدقيق (التاريخ الإسلامي) ولهذا عملت بالدرجة الأولى على ما يخدمني علمياً ووظيفياً ، وفي الوقت نفسه بدأت العمل في بعض الأبحاث التاريخية الحديثة ، وذلك من أجل خدمة أهلي وبلادي ، والتي لها واجب عليه . وبدأت رحلتي مع الجمع والتأليف في ميادين عديدة بعد عام (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) ، وهذا ما سوف أناقشه في الصفحات التالية .

كتبهم إلا نادراً ، وإذا أشاروا إليها ، فإشاراتهم قليلة وناقصة . وإذا نظرنا في موروث هذه الأوطان خلال العصر الحديث والمعاصر، فهو مبعثر أيضاً وكثير منه غير مدون .

هذا ما لمسته من أيام دراستي للبكالوريوس في مدينة أبها (١٣٩٦-١٤٠٠هـ/ ١٩٧٦-١٩٨٠م) ، وتأكد لي هذا الشعور بعد حصولي على درجة الدكتوراه عام (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، وفي عامي (١٤١٠-١٤١١هـ/١٩٩٠-١٩٩١م) تجولت في مناكب بلاد بني شهر وبني عمرو ، ثم عزمت على إعداد كتاب عن هذه الناحية ، فكان ذلك، وصدر كتابنا: **بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٤.١٣هـ /١٩ . ٢٠م)**. وأثناء جمع مادة هذا المؤلف من الدراسات الميدانية ، والمقابلات الشخصية، والوثائق والمخطوطات غير المنشورة ، والاطلاع على المصادر والمراجع المطبوعة المنشورة ، اتضح لي أمور عديدة نذكر أهمها في النقاط الآتية :

أ ■ عرفت أن هناك آلاف الوثائق المحلية غير المنشورة عن جنوبي البلاد السعودية خلال العصر الحديث والمعاصر ، وهذه الوثائق محفوظة عند بعض الأفراد والأسر في هذه البلاد ، وهناك وثائق محفوظة في أراشيف بعض المؤسسات الإدارية في مناطق عسير ، وجازان ، والقنفذة ، والباحة ، ونجران[١] . وعندما تأكدت من هذا المورد العلمي، بدأت أبحث وأجمع من الوثائق المتناثرة في أيدي الناس ، ومنذ عام (١٤١٠-١٤١٤هـ /١٩٩٠-١٩٩٤م) زرت العديد من الأسر ، مثل الأعيان والوجهاء وشيوخ القبائل ، وبعض البيوتات العلمية في المنطقة الممتدة من أبها وخميس مشيط جنوباً إلى بيشة والنماص والمجاردة والباحة شمالاً ، واستطعت أن أجمع عدداً لا بأس به من الوثائق التي يعود عصرها إلى القرون (١٢، ١٣، ١٤هـ / ١٨ ، ١٩ ، ٢٠م) .

---

(١) ومن تلك المؤسسات : الإمارات ، وإدارات التعليم ، والمالية ، وإدارات الشؤون الاجتماعية ، وبعض المؤسسات الاقتصادية: كالغرف التجارية ، وفروع وزارة الزراعة ، وبعض المدارس القديمة . وأغلب هذه المؤسسات زرتها في منطقة عسير وبخاصة في مدينتي أبها وخميس مشيط في بدايات العقد الثاني من هذا القرن الهجري ، وشاهدت بعض أراشيفها عامرة بالسجلات والوثائق التاريخية والحضارية التي يعود بعضها إلى خمسينيات القرن الهجري الماضي ، وفي نهاية العشرينيات من هذا القرن أيضاً ، زرت بعض تلك الإدارات التي زرتها سابقاً ، وذلك بهدف الاستفادة من بعض وثائقها ، فوجدت معظمها أتلف ، بل إن هناك إدارات أصبحت فارغة تماماً من أوراقها وسجلاتها القديمة ، وعند سؤالي بعض الموظفين في تلك الإدارات قالوا : لقد تم إحراقها، وإتلافها ، لأنه لم يصبح لها أي قيمة من وجهة نظر المسؤولين في تلك المؤسسات .

ب ■ قابلت بعض البيوتات والأعلام ، في منطقة عسير وما حولها ، والذين يقتنون بعض المخطوطات والوثائق التي يعود تاريخها إلى العصر الحديث من القرن (١٠-١٤هـ/ ق١٦-٢٠م) ، لكنهم لا يرغبون في إخراجها ، بل إنهم يمنعون من الاطلاع عليها ، أو قراءة محتوياتها ، وربما يعود السبب إلى جهلهم بأهميتها، أو إلى خوفهم مما فيها وبخاصة أن الكثير منها في عصور سابقة لعصر الحكومية السعودية الحديثة، ويعتقدون أن إخراجها قد يسبب لهم مشاكل إدارية وأمنية مع الدولة[١] .

ج ■ يستوطن مناطق الجنوب السعودي القبائل والعشائر المتفاوتة في اتساع أراضيها ، وأعداد سكانها . كما أن لها تاريخاً سياسيا وحربياً قديماً ، ومن ثم فالكتابة عن موروثها التاريخي والحضاري حساس ، فإذا كتب المؤرخ عن أحداث هذه البلاد التاريخية بطريقة علمية منهجية حيادية ، فقد يصطدم بالكثير من المشاكل ، وبخاصة عند ذكر حقائق سلبية ، بسبب ما جرى من حروب وثورات وثارات وكر وفر بين القبائل والعشائر المتجاورة ، وهذا ما لا يريد سكان هذه القبائل دراسته وإظهاره ، وقد يكتب المؤرخ في هذا الباب فيدلس ويغالط من أجل إشهار أمجاد قبيلة على أخرى ، ومن يفعل ذلك أيضاً فلا يستحق أن يكون مؤرخاً نزيهاً حيادياً ، ثم إن بعض الأفراد والعشائر في هذه البلاد قد يحتج على ما يكتب وبخاصة إذا أظهر الباحث بعض المثالب والسلبيات لهذه الشريحة من الناس [٢] .

---

(١) قابلت عدداً من الأسر والأفراد الذين يمتلكون مثل هذه الوثائق في بدايات العقد الثاني من هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، والذين امتنعوا على تصويرها أو الاطلاع عليها ، ثم زرت بعضهم في بدايات الثلاثينيات من هذا القرن نفسه ، فوجدتها قد ضاعت ، وبعضها أتلف . وهذه مشكلة عرفتها وعاصرتها خلال الأربعين سنة الماضية ، و كثير من المؤسسات الإدارية التي لها أراشيف قديمة يعود تاريخها إلى بدايات القرن (١٤هـ/ ٢٠م) ، فهي الأخرى فرطت فيما عندها من هذه المصادر التاريخية القيمة .

(٢) إن دراسة التاريخ مهنة شاقة وشائكة ، كما أن الحديث عن تاريخ القبائل وأنسابها من الموضوعات الصعبة أيضاً ، وقد شاهدت ذلك أثناء جمع الوثائق من مناطق الجنوب ، وأثناء كتابة كتابي : (١) بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ). (٢) وصفحات من تاريخ عسير. الجزء الأول طبعة(عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م) ، حيث اعترض على بعض مواد هذين الكتابين أناس كثيرون في منطقة عسير التهامية والسروية . وعرفت ذلك أيضاً من بعض الكتب التي تحال إلينا لتحكيمها من قبل وزارتي الثقافة والداخلية، فهناك من يدون بعض المؤلفات لرفع قبيلة على أخرى ، أو إثارة النعرات والعصبية القبلية ، أو تمجيد أفراد أو أسر وإعطائهم أكثر من حقهم . وأقول إن الباحث في التاريخ يجب أن يتصف بالحيادية والنزاهة في كل ما يكتب ، ولا ينزلق إلى تدوين ما يخالف الواقع ، أو يغمط حقوق الناس ، أو يزيف ماهو صحيح ، أو ينمق ماليس حقيقة .

قضى الباحث ثمان سنوات (١٤٠٩-١٤١٧هـ/١٩٨٩-١٩٩٧م) ، في عمل التدريس ورئاسة قسم التاريخ في كلية التربية ـ فرع جامعة الملك سعود في أبها ، وفي هذه الفترة ترقى إلى درجتي الأستاذ المشارك ، ثم أستاذ في تخصصه ، وأنجز أعمالاً عديدة في ميداني الجمع والبحث والتأليف[١] ، ومن أهم ما تم إنجازه ما يأتي:

١■ استطاع غيثان أن يؤلف عشرات البحوث العلمية والثقافية ، وينشرها في أوعية علمية مختلفة. ومن تلك الدراسات ما هو في مجال التاريخ والحضارة الإسلامية ، ومنها ما يتعلق ببعض أجزاء الجزيرة العربية مثل: مدن الحجاز الرئيسة ، وبلاد تهامة والسراة ، وانتشار الإسلام ، والهجرات العربية إلى أجزاء من قارة إفريقيا، والاستشراق والمستشرقين ، والأقليات الإسلامية)[٢] .

٢■ واصل ابن جريس تأليفه في مجال التاريخ السياسي والحضاري المحلي لمنطقة عسير وما جاورها من المناطق، ونشر بعضاً من نتاجه العلمي في مؤلفات مستقلة ، كما نشر بعض الدراسات الموثقة في مجلات علمية وثقافية مثل : مجلات الدارة ، والمنهل ، والفيصل ، وأيضا العرب التي يتولى ملكيتها ورئاسة تحريرها الأستاذ حمد الجاسر . كما نشر بعضاً من بحوثه في مجلات علمية أخرى مثل: دوريات اتحاد المؤرخين العرب في القاهرة، ومجلة العصور، وبعض المجلات الأكاديمية الجامعية في المملكة العربية السعودية، ومصر والأردن، والسودان وغيرها[٣].

---

(١) انظر مؤلفات عديدة أصدرها الأستاذ محمد بن أحمد بن معبّر عن مؤلفات ومكتبة وإسهامات غيثان بن جريس العلمية والفكرية والثقافية .

(٢) جمعت معظم هذه الدراسات في مؤلفات عديدة لغيثان بن جريس ، ومن تلك الكتب (١) بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية (جزآن) . (٢) دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة (ق١ق١٠هـ/ق٧-ق١٦م) (جزآن) (٣) دراسات في تاريخ إفريقيا والجزيرة العربية (مطبوعات نادي جازان الأدبي). (٤) دراسات في تاريخ الحجاز السياسي والحضاري خلال العصر الإسلامي من القرن الأول الهجري إلى العاشر الهجري (مطبوعات نادي مكة الثقافي والأدبي) (٥) الأقليات الإسلامية في العالم (١) إفريقيا (الجزء الأول) (مطبوعات نادي أبها الأدبي). (٦) افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية (مطبوعات نادي أبها الأدبي) .

(٣) للمزيد انظر : عناوين الكتب وبحوث غيثان بن جريس في كتاب : مؤرخ تهامة والسراة ، من إعداد الأستاذ محمد بن معبّر ، وانظر أيضاً قائمة مؤلفات ابن جريس في نهاية معظم مؤلفاته المطبوعة والمنشورة .

ومنذ حصول غيثان على درجة الأستاذية في نهاية عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) إلى عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، وهو يعمل ويؤلف العديد من البحوث والكتب العلمية،والتي معظمها تركز على تاريخ وحضارة وتراث بلاد تهامة والسراة (نجران ، وجازان ، وعسير ، والقنفذة ، والباحة ، ورنية ، وتربة) منذ ما قبل الإسلام إلى فترة العصور الحديثة والمعاصرة . والناظر في نتاج ابن جريس يجد عدد من بحوثه العلمية قدمت في مؤتمرات وندوات ولقاءات علمية محلية وإقليمية وعالمية ، ثم جمعها غيثان في كتب علميه باسمه . كما أنه كتب عن بعض المدن والبلدان مثل : نجران ، وأبها ، والقنفذة ، وبيشة ، وتبالة وغيرها ، ويعمل منذ أكثر من عشر سنوات ، عام (١٤٢٦-١٤٣٧هـ/٢٠٠٦-٢٠١٦م) على موسوعته الموسومة بـ : **القول المكتوب في تاريخ الجنوب وقد صدر منها حتى الآن تسعة مجلدات في أكثر من ستة آلاف صفحة ، ومازال غيثان يواصل إصدار أجزاء جديدة من هذه السلسلة .**

وفي الخمس وعشرين سنة الأخيرة (١٤١٢-١٤٣٧هـ/١٩٩٢-٢٠١٦م) وغيثان يعمل على جمع مصادر متنوعة عن تاريخ جنوبي البلاد السعودية ، أو ما يعرف باسم (بلاد تهامة والسراة). **وهذه المصادر تنقسم إلى ستة أقسام ، أشار إليها الأستاذ محمد بن معبّر في بعض دراسته ، وهي على النحو التالي:**

١ الوثائق العامة ، وتزيد عن خمسين ألف وثيقة معظمها خلال العصر الحديث ، أي من بعد القرن العاشر الهجري حتى القرن الخامس عشر الهجري (ق١٦-٢١م) ، وهي متنوعة في موضوعاتها ومادتها العلمية ، فمنها ما يتعلق بالتاريخ السياسي والعسكري ، وأخرى وثائق حضارية : اجتماعية ، وثقافية ، وفكرية ، وأدبية ولغوية ، واقتصادية . ومن بين هذه الوثائق ما يتعلق بالأعلام وتراجمهم، أو بعض الجوانب الجغرافية ، أو الصلات والعلاقات التاريخية والحضارية بين أجزاء من السروات وتهامة وبين نواحي وبلدان أخرى في الحجاز واليمن أو غيرها من بلدان الجزيرة العربية ، أو شرق إفريقيا[1].

---

(١) نشر غيثان آلاف من هذه الوثائق في بعض مؤلفاته ، ومعظم الوثائق المنشورة خرجت في هيئة ملاحق في كتبه . ومازالت هذه الوثائق المنشورة تحتاج إلى من يدرسها ويحللها وينقدها . وقد يأتي في المستقبل من يتولى ذلك بالدراسة والتحليل . أما جل الوثائق العامة فمازالت محفوظة في مكتبة غيثان بن جريس العلمية، وتحتاج إلى دعم مادي وفريق علمي أكاديمي يتولى دراستها ونشرها ، ونرجو من الله أن يقيض لها من يتولاها بالرعاية والدعم والتوثيق .

٢ الوثائق الخاصة : وهي مراسلات غيثان مع أهل عصره منذ ربع قرن ، وقد قام مُحَمَّد بن معبِّر مشكوراً بنشر حوالي خمسة آلاف منها ، في ثمانية مجلدات. ولازال أكثرها لم يدرس ، ونأمل أن يأتِ في المستقبل من يدرسها دراسة علمية أكاديمية .

٣ الصور الفوتوغرافية ، وربما تزيد عن سبعة آلاف صورة عن تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (أوطان تهامة والسراة) خلال القرن الرابع عشر الهجري ، والعقود الأولى من القرن الخامس عشر الهجري، ومازالت هذه الصورة حبيسة الأدراج وقد يقيض الله لها من ينشرها لطلاب العلم والمعرفة .

٤ البحوث الجامعية التي أشرف عليها الدكتور غيثان بن جريس خلال الخمس وثلاثين سنة (١٤٠١-١٤٣٥هـ/١٩٨١-٢٠١٤م) وهذه البحوث تشمل المراحل الجامعية (البكالوريوس ، والماجستير ، والدكتوراه) ، ومعظمها عن تاريخ وحضارة بلاد تهامة والسراة، من مكة المكرمة والطائف شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً ، ويزيد عددها عن الأربعمائة بحث، وقد فهرسها ودرسها الأستاذ مُحَمَّد بن معبِّر في كتاب أسماه : **دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور غيثان بن جريس العلمية (١٤٠١ .١٤٣٥ هـ)** .

٥ المذكرات والمدونات ، وهذا النوع من المصادر من إعداد أعلام وباحثين في جنوبي البلاد السعودية خلال القرن (١٤هـ/٢٠م) ، وهذا القرن (١٥هـ/٢٠-٢١م) ، وقد حصل الباحث على بعضها فيها أثناء تجواله في مناكب جنوبي السعودية ، وهناك مذكرات ومدونات أخرى تم إعدادها بناءً على طلب من غيثان الذي يكتب لبعض الرواد أو الرموز الثقافية في محاور محدودة ، وبالتالي وصل إليه كثير من هذه المدونات ، وقد نشر بعضها مثل : مدونات الأستاذ مُحَمَّد أحمد أنور ، ومدونات ابن إلياس ، ومدونات يحيى بن حسن بن مستور ، ومدونات عبد المالك الطرابلسي ، ومدونات إبراهيم بن مُحَمَّد بن فائع الألمعي وغيرهم[1].

---

(١) انظر : مدونات هؤلاء الأعلام منشورة في بعض مؤلفات غيثان بن جريس مثل: (١) أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) . (٢) والقول المكتوب في تاريخ الجنوب ، الجزءان الأول ، والثاني . (٤) وتاريخ التعليم في منطقة عسير . الجزء الأول .(٥) ومن رواد التربية والتعليم في المملكة العربية السعودية (مُحَمَّد أحمد أنور) . (٦) ودراسات في تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية (الجزءان الأول والثاني) .

٦■ بعض الكتب المطبوعة والنادرة ، وبعض المصادر المخطوطة ، ويوجد في مكتبة ابن جريس عدد لابأس به من هذه المصادر ، ولا تخلو من مادة علمية قيمة عن التاريخ والحضارة الإسلامية بشكل عام ، وعن الموروث الحضاري للجزيرة العربية بشكل خاص .

هذه المكتبة العلمية الغيثانية جُمعت على مدار أربعين عاماً ، من عام (١٣٩٦-١٤٣٧هـ/ ١٩٧٦-٢٠١٦م) ، وهي المورد الرئيس الذي ينهل منه ابن جريس في رصد بحوثه ومؤلفاته خلال الثلاثين عاماً الماضية ، **وقد يسأل سائل عن الطرق التي جمعت بها هذه المواد ؟ وعن طريقة حفظها وتصنيفها ؟ وعن كيفية الاستفادة منها ؟ وللإجابة على هذه الأسئلة الثلاثة ، نقول الآتي :**

أولاً : تكوين المكتبات عمل شاق ، وبخاصة إذا حرص مؤسسوها على جمع مصادر ومراجع قيمة وجديدة ونوعية . وهذا ما حرصت عليه منذ نهاية القرن الهجري الماضي عندما ذهبت إلى أمريكا ثم بريطانيا، ثم زيارتي لبعض المكتبات الرسمية والأهلية والخاصة في الجزيرة العربية . وهذا مما ساعدني الاطلاع على الكثير من مصادر التراث الإسلامي ، ولم تكن جهودي مركزة على الكتب التاريخية، وإنما قرأت وصورت واشتريت العديد من الكتب في العلوم الشرعية ، والأدبية اللغوية ، والتاريخية الحضارية ، والموسوعات ومعاجم الأعلام والجغرافيا واللغة ، وغيرها من المصادر المتنوعة في موضوعاتها وأبوابها وميادينها .

ثانياً : المصادر الآنف ذكرها في النقطة السابقة ، هي جزء كبير من عماد أي مكتبة حكومية ، أو عامة ، أو خاصة ، وهذا ما عرفناه وشاهدناه خلال مسيرتنا التعليمية الجامعية من (١٣٩٦-١٤٣٧هـ / ١٩٧٦-٢٠١٦م). وهناك أيضاً مكتبات متخصصة في علوم بعينها، مثل: العلوم العلمية البحتة ، وعلوم الآثار ، وغيرها من المعارف المادية والمعنوية . ومن مصادر العلوم الإنسانية الرئيسة المخطوطات في المكتبات الجامعية العريقة ، ومن زياراتي لبعض جامعات بريطانيا، ومصر ، والمملكة العربية السعودية فقد اطلعت على عدد جيد من المخطوطات التي تدور في فلك التاريخ العربي الإسلامي منذ القرن الهجري الأول إلى القرن الرابع عشر الهجري ، واستطعت أن أصور بعضاً من تلك المخطوطات ، وهذه الصور تقبع في أدراج مكتبتنا الآن . كما أنني زرت

بعض بيوتات العلم في الحجاز ، وبلدان تهامة والسراة، ورأيت بعض المخطوطات التي يقتنونها ، ومعظمها خلال العصر الحديث، وقد حصلت على نسخ من بعض تلك المخطوطات أيضاً [١].

ثالثاً : أدركت منذ عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) أن بلدان تهامة والسراة مثل: القنفذة ، والباحة ، وجنوبي مكة والطائف، وبيشة ، وبلدان عسير ، وجازان ، ونجران) ذات تاريخ طويل وعريق يعود إلى ما قبل الإسلام ، لكن الإهمال وغالباً التجاهل والنسيان من مدوني التراث جعل هذه الأوطان قليلة الذكر عند الأقدمين من المؤلفين[٢]. والسائح في أرجاء هذه الديار يشهد تنوع تضاريسها ومناخها ، وكثافة سكانها، وتنوع مواردها الاقتصادية ، وتعدد عاداتها وأعرافها الثقافية والاجتماعية . **كل هذا جعلني ألتفت لجمع شيء من موروثها الحضاري ، ولهذا بدأت أتجول في أرجائها ، وألتقي بسكانها ، وبالتالي بدأت أجمع بعضاً من مصادرها ، ومما تم جمعه ما يلي :**

١■ الوثائق غير المنشورة ، والموجودة عند الكثير من الأفراد والأسر التي حصلت على بعضها قبل عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ، ثم من بعد ذلك التاريخ زاد اتصالي بجميع طبقات المجتمع الجنوبي السعودي ، فقابلت الكثير من طلابي في مرحلة البكالوريوس ، ومؤخراً من بعد عام (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) بطلاب الدراسات العلياً (الماجستير والدكتوراه) ، وجميعهم أدركوا صدقي ، وتعاون أكثرهم معي ، فأطلعوني وزودوني بالعديد من الوثائق التاريخية والحضارية ، والتي أغلبها في العصر الحديث منذ القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجرية ، كما زرت بعض أراشيف المؤسسات الحكومية والأهلية في جازان ، ونجران ، وعسير ، والباحة ، والقنفذة ، واطلعت على ما تحتوي عليه تلك الأراشيف من المصادر التاريخية ، وحصلت على صور كثيرة من وثائقها . وأكثر الإدارات الحكومية التي أفادتني : الإمارات ، والمحافظات ، وإدارات التعليم للبنين والبنات ، وبعض المدارس

---

(١) يوجد في جازان وأجزاء من بلاد تهامة والسراة بعض الأسر العلمية التي تمتلك الكثير من المخطوطات والوثائق، ويرفضون إخراجها ، أو اطلاع الباحثين عليها ، وهذا تصرف غير سليم ، لأن حجب العلم يأثم صاحبه ، ثم إن هذا التراث العلمي يعكس تاريخ وحضارة أجزاء من هذه البلاد السعودية الجنوبية ، وليس حكراً على من يمتلكها ، ويجب على مالكي هذه المصادر أن يخرجوها كي يستفيد منها طلبة العلم .

(٢) صعوبة تضاريس هذه البلدان ، ووقوعها بين حواضر اليمن والحجاز ، ثم شدة مراس أهلها ، وعدم رغبتهم في الاتصال بالغريب ، كل هذه العوامل وغيرها سببت انعزالها وعدم ذكرها عند كتاب التراث الإسلامي ، وإن ذكروها فلا ترد إلا بالنزر اليسير .

القديمة في هذه البلاد ، وإدارات المالية ، ومؤسسات أخرى عديدة [١]. ومعظم الوثائق العامة التي أملكها تم جمعها بهذه الطريقة، ووثائق أخرى جمعت من بعض مراكز الوثائق في المملكة العربية السعودية ، ومصر ، وبريطانيا ، والأرشيف العثماني في مدينة أسطنبول في تركيا[٢].

٢- أدركت منذ عام (١٤١١هـ/١٩٩١م) أهمية الطلاب في جمع شيء من تراث جنوبي البلاد السعودية ، وبالتالي قررت توجيه مادة بحث التخرج لمعظم طلاب قسم التاريخ إلى الدراسات الميدانية التي تقوم على المشاهدات ، والمقابلات الشخصية ، والتقاط الصور الفوتوغرافية ، وجمع الوثائق والمخطوطات المحلية . وتوليت الإشراف على أولئك الطلاب الذي يقضي الواحد منهم سنة كاملة في إعداد بحثه ، وكنت ألزمهم بعناوين محدودة، ووضعت جميع الطلاب في مجموعات تتراوح من طالبين إلى سبعة وربما ثمانية طلاب ، واستمررت في متابعة معظم الطلاب المتخرجين حوالي أربعة عشر عاماً ، ومن ثم خرجنا بعشرات الدراسات التاريخية والحضارية لجميع بلدان المنطقة الجنوبية الممتدة من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران[٣]. وجميع البحوث التي تم

---

(١) قد أخرج دراسة مستقلة تدور حول معاناتي مع هذه المؤسسات الإدارية ، عندما كنت أتردد عليهم وأسعى إلى إقناعهم لاطلاعي على أراشيفهم الوثائقية ، وأحياناً كنت أخفق في تحقيق هدفي ، ومع الإصرار والمحاولات المستمرة استطعت أن أدخل إلى عدد من الأراشيف واطلع على محتوياتها وأستفيد من بعضها . وللأسف إن ثقافة حفظ الوثائق في بلادنا سطحية ، فلا يدرك المسؤولين أهمية هذه الوثائق وحفظها والعناية بها ، ومعظم الأراشيف التي زرتها وشاهدتها في وضع سيء من حيث الحفظ والرعاية، والأدهى والأمر إن كثير من الأراشيف القديمة في المؤسسات الإدارية تحفظ في أماكن رديئة جداً ، ثم يتم التخلص منها بالحرق والإتلاف . وهذا ما عاصرته ورأيته عند عدد من الإدارات الحكومية في عسير وجازان ونجران والقنفذة خلال العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م) .

(٢) معظم الوثائق العامة الموجودة في مكتبة غيثان بن جريس جمعت بجهود فردية من أفراد وأسر محلية في جنوبي السعودية. وهناك آلاف الوثائق في بعض مراكز الوثائق داخل المملكة العربية السعودية وتحتاج إلى مال وجهد كبيرين لجمعها . وللأسف إن الوثائق الموجودة في بعض مراكز الوثائق المحلية محجوبة ومن يريد الاطلاع عليها من الباحثين يقابل متاعب وتعقيدات إدارية حتى يحصل على ما يريد . وهذه ثقافة موجودة عندنا في البلاد العربية بعكس مراكز الوثائق الخارجية وبخاصة في أوربا فالحصول عليها يسير ، ولا يقابل الباحث أي مشاكل في الحصول على ما يفيده في بحوثه ودراساته العلمية .

(٣) قام الأستاذ محمد بن معبّر مشكوراً بفهرسة جميع هذه البحوث العلمية في كتاب أسماه : دليل البحوث الجامعية في مكتبة الدكتور/ غيثان بن جريس العلمية ، من مطبوعات مطبعة الحميضي بالرياض (١٤٣٦هـ /٢٠١٥ م) (٥٥٠صفحة) .

إنجازها تزيد عن الأربعمائة بحث ، ولا يخلو أي بحث من وثائق تاريخية جديدة ، ومن صور فوتوغرافية حضارية ، ومن مقابلات شخصية . وكان من أهم شروط عناوين البحوث أن تكون جديدة في بابها ، وأن تدور في فلك القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) ، وأن تكون جميعها عن تاريخ وحضارة جنوبي البلاد السعودية . وبهذه الطريقة استطعنا أن نجمع آلاف الوثاق المتنوعة في مجالاتها، ونحصل على آلاف الصور الحضارية للكثير من معالم وأعراف وعادات واقتصاديات المناطق الجنوبية ، بالإضافة إلى نصوص مئات المقابلات الشخصية التي عقدها الطلاب مع بعض أعلام وأعيان ورجالات البلدان السعودية الجنوبية .

٣- قرأت وسمعت وقابلت الكثير من الرواد الأوائل في مناطق عسير ، والقنفذة ، والباحة ، وجازان ، ونجران. وكان هناك أيضاً بعض المعلمين والموظفين الحكوميين الأوائل الذين امتازوا بقوة الذاكرة، وثراء التجربة ، وتنوع الخبرات ، ومن ثم اتصلت ببعضهم وطلبت منهم أن يدونوا لنا مذكراتهم أو ما يعرفونه عن بعض الجوانب التاريخية والحضارية في أوطانهم ، أو في الأماكن التي عملوا فيها خلال حياتهم ، وقد تجاوب معنا عدد لا بأس به من أولئك الأعلام فكتبوا لنا مذكراتهم ومدوناتهم المتفاوتة في أحجامها وفي موضوعاتها. ومن خلال هذا المورد المعرفي استطعنا تكوين أرشيف جيد لمثل هذه المدونات ، وقد نشرنا بعضها في بعض مؤلفاتنا ومازال منها الشيء الكثير[1].

استطاع غيثان أن يجمع قدراً لابأس به من المصادر المعرفية عن مناطق الجنوب السعودي ، واستخدم بعضاً من تلك المصادر في عدد من بحوثه ومؤلفاته . لكن السؤالين المهمين عن هذا الجمع المعرفي هما ، كيفية طريقة حفظ هذا الموروث التاريخي الحضاري؟ ، وكيفية الاستفادة منه وبخاصة من قبل الباحثين وطالبات وطلاب الدراسات العليا ؟ وللإجابة على طريقة الحفظ ، فهناك آلاف الوثائق والصور الفوتوغرافية وعشرات المذكرات والمدونات المحفوظة في مكتبة غيثان بن جريس العلمية ، وحفظها بطريقة متواضعة في دواليب وأرفف وملفات بسيطة ، وليست للأسف مرتبة أو مصنفة حسب عصورها أو موضوعاتها ،وصاحبها يعتزم منذ سنين تصنيفها إلكترونياً ،

---

(١) انظر : مدونات هؤلاء الأعلام منشورة في بعض مؤلفات غيثان بن جريس مثل: (١) أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) . وقد نجمع جميع هذه المدونات في كتاب واحد ، وأسأل الله أن يقيض لها من يدرسها ويصنفها ويطبعها . وأقول إن مادة هذه المذكرات جديدة في أبوابها ، وجيدة في معلوماتها ، ومادة بعضها تكاد تكون نادرة فلا توجد في أي مصدر آخر.

وحتى الآن لم يحدث شيء من ذلك . والسبب هو عدم تفرغ مالكها ، فهو مثقل بالعديد من المسؤوليات الأسرية والاجتماعية ، والوظيفية ، ثم إنه يحتاج لها بعض المال حتى يتم توظيف خبراء في علوم المكتبات فيقوموا على ترتيبها وتصنيفها وفهرستها . وما جمعه غيثان من المصادر والمعارف خلال الأربعين سنة الماضية، يوجد في غرف عديدة من منزله المتواضع في حي المنسك بمدينة أبها ، ويتوق منذ زمن إلى بناء مكان مستقل يحفظ فيه كل هذه الوثائق والمذكرات والصور وغيرها من المصادر التاريخية والحضارية . بل إنه يفكر منذ عشرين عاماً على إقامة مركز علمي وثقافي خاص تجمع فيه كل هذه المصادر والمعارف المجموعة[١].

وللأسف إن مكان جمع مثل هذا التراث المجموع في منزل غيثان لا يليق به لأهميته ، ولنفاسته ، واحتوائه على علوم ومعارف جديدة وقيمة في أبوابها وميادينها . وقد فكرت مراراً أن أسلم هذا التراث المجموع إلى إحدى الجامعات المحلية في جنوبي البلاد السعودية ، أو إلى إحدى الجامعات الأخرى في المملكة العربية السعودية ، ولكن بعد زيارتي لمكتبات بعض هذه الجامعات ، وشاهدت وضعها غير المناسب ، وغير المهني ، ثم تحدثت مع بعض موظفي هذه المكتبات ، بل منهم من قال أحضرها لنا وسوف ندرجها ضمن مصنفات المكتبة ، ولا يدرك أن معظمها مصادر نوعية وجديدة ، ولا توضع في يد القاصي والداني من رواد المكتبات ، ولابد أن تكون في مكان آمن ، وتستخدم بطريقة علمية أكاديمية ، ويتولى الإشراف عليها أناس يدركون أهمية الوثائق غير المنشورة ، ومعرفة ما يمكن نشره أو حجبه من هذه المصادر التاريخية [٢].

---

(١) وحتى الآن لم يتحقق بناء مكان مستقل ، أو إنشاء مركز علمي ، والعائق الرئيسي هو عدم وجود الموقع المناسب الذي يجمع فيه هذه التراث ، ثم العامل المادي ، وعدم وفرة الأموال التي تنشئ هذا المكان أو المركز من الأسباب الرئيسة . ونأمل أن يتحقق في المستقبل ما نتطلع إليه، والله أسأل أن يجعل أعمالنا جميعاً خالصة لوجهه الكريم ، وأن يسخرنا لخدمة ديننا وبلادنا وأهلنا.

(٢) يوجد في هذه الوثائق عدد لابأس به تحتوي على معلومات حقيقية سلبية لأعلام ، وأسر ، وشيوخ ، وعشائر وقبائل ، وأحداث سياسية وحربية وعسكرية ، وكذلك بعض التفصيلات الحضارية التي تبين مثالب وعيوب أقوام وأسر وأشخاص، ودراسة مثل هذه المصادر ثم نشرها قد تسبب شقاق ومشاكل سياسية وأمنية وإدارية ، ونشرها قد لا يفيد كثيراً . وفي حالة وضع مثل هذه المصادر مشاعة للناس في المكتبات العامة والمراكز الجامعية فقد تصور وتتسرب معارفها ، ومن ثم ينتج عنها مشاكل عديدة على المستوى الفردي والجماعي والحكومي الرسمي .

أما كيفية الاستفادة من هذه المصادر المجموعة في مكتبة غيثان بن جريس ، فهو منذ زمن يتعاون مع طالباته وطلابه ويزودهم بما يخدمهم في بحوثهم ، ومازال على هذا النهج حتى الآن ، لكن عدم تصنيف محتويات هذه المكتبة بشكل جيد يعيق غيثان للوصول إلى مبتغاه أو ما يطلب منه بشكل سهل ويسير ، ولو صنفت محتويات المكتبة يدوياً ثم إلكترونياً ، فقد يكون استخدامها سهلاً ويسيراً [١].

ونخلص من تجاربنا في الجمع والتأليف ببعض الرؤى والنتائج والتوصيات التي نذكرها في البنود الآتية :

١■ جمع أي مادة علمية وتأليفها ، عملان متلازمان ، فلا يتم التأليف إلا بعد جمع المادة العلمية الخام ، وغيثان شعر بأهمية الجمع ، لهذا بدأ في جمع مصادر رئيسة ومهمة يستخدمها أثناء تصنيف كتبه وتأليفها. والواضح على كثير من مؤلفات غيثان أنها تحتوي على مادة علمية جديدة جمعت من مصادر عديدة مثل: الرواية الشفاهية ، والوثائق غير المنشورة ، والمذكرات والمدونات المتنوعة في موضوعاتها ، والصور الفوتوغرافية ، والمشاهدات والرحلات الميدانية . وهذه المواد المجموعة مازالت تحتاج إلى تحليل ونقد ومقارنة واستنتاج ، ويحسب لغيثان الريادة في جمعها وتأليفها وطباعتها ونشرها للقراء والباحثين .

٢■ تخصص غيثان الدقيق هو التاريخ الإسلامي المبكر والوسيط ، وكثير من كتبه وبحوثه في تاريخ العصر الحديث وحضارته . وهذا السلوك من ابن جريس جعل كثير من الباحثين وبخاصة أساتذة التاريخ في الجامعات السعودية ينتقدون غيثان على ترك مجال تخصصه الدقيق والكتابة في حقب تاريخية حديثة . ووصل بعض المنتقدين إلى وصف ابن جريس بالضعف العلمي ، وأن ما أصدره من بحوث وكتب لا ترقى إلى المستوى العلمي الأكاديمي الجيد ، وقال بعضهم إن غيثان فقط يقوم بنقل وتجميع معارف تاريخية عديدة ثم طباعتها ونشرها ، وهناك أكاديميون اتهموا ابن جريس بسرقة

---

(١) لا يبخل غيثان على أي باحث أو طالبة أو طالب دراسات عليا ، ويأمل أن تصنف المكتبة بشكل أفضل ، وأن يكون لها مكان مستقل حتى تعم فائدة الاطلاع عليها والاستفادة منها .

مواده العلمية من كتب ومؤلفات غيره ، وفريق آخر قال: إنه يستغل طلابه في خدمته العلمية وتأليف مصنفاته ، واتهامات أخرى كثيرة يصعب حصرها في هذا المقام[١].

٣ـ المثل يقول " **من ألف فقد استهدف** " وغيثان كتب في مجالات تاريخية عديدة (قديمة ، وإسلامية مبكرة ووسيطة ، وحديثه ومعاصرة) ، والنقد غالباً يوجه إليه من بعض الأكاديميين، ومعظم المنتقدين من هذه الشريحة من الكسالى الذين لم ينجزوا أي عمل علمي ، وهذا لا يستغرب أن يصدر من هذا النوع من الأساتذة . وهناك من انتقد غيثان وهم من المتعلمين والمثقفين الذين ليسوا متخصصين في مجال الدراسات التاريخية والأدبية العلمية ، وكثير منهم يطلقون انتقاداتهم لأنهم سمعوا حديثا عاماً عن نتاج غيثان العلمي ، ولم يطلعوا عليه ، أو أن بعضهم نظر إلى فهارس ومحتويات لبعض مؤلفات غيثان وأصدر حكمه دون أن يفحص بحوث غيثان فحص علمياً منهجياً دقيقاً [٢].

٤ـ ما اتضح لغيثان أن جمع المادة العلمية الجديدة وتصنيفها عمل صعب ، وبخاصة إذا كان الباحث يسعى إلى تحقيق المصداقية في كل ما يجمع ويؤلف ، وأيضاً تحقيق الأمانة العلمية في كل ما ينقل أو يصور . ومن معايير التأليف العلمي الجيد أن تدون مصادر البحث بشكل واضح ، ولا يتردد الباحث أن يذكر مصدره مهما كان نوعه ، أو مستواه ، أو خلفيته الثقافية والمعرفية . كما

---

(١) منذ العقد الأول في هذا القرن (١٥هـ/ ٢٠م) وغيثان يسمع هذه الاتهامات المتنوعة ، وهو لا يلقي لها بالاً ، ولم يرد على أحد من المتهمين كتابياً ، وهناك من وجه له اتهامات كثيرة أثناء تقديم بعض محاضراته في عدد من الندوات والمؤتمرات المحلية والإقليمية ، وابن جريس لا يرد عليه إلا بقوله : " من عنده أي نقد علمي فيرسله له مكتوباً وفي حالة أنه نقد وجيه وبناء فسوف يعترف غيثان به ويصحح ما أخطأ فيه ، أما أن يرد على كل من يوجه له تهماً باطلة وغير صحيحة ، فلا ينظر إليه ولا يعتد بقوله ، لأنه لو دخل في إطار هذا الجدل العقيم فلن يستطيع أن ينجز أي شيء " وقال ويؤكد من على صفحات هذا البحث " إن كتبه وبحوثه مطبوعة ومنشورة في كل مكان ، ومن لديه أي توجيه أو نقد علمي قيم ، فيرجو أن يرسله إليه وسوف يستفيد منه، ويصحح ما وقع فيه من أخطاء غير مقصودة ، " والله الهادي إلى سواء السبيل .

(٢) لو عكف غيثان على ما سمع من اتهامات وانتقادات من شرائح عديدة في المجتمع ، فإنه سوف يصنف ذلك في مئات الصفحات . وربما يأتي اليوم الذي يطبع وينشر بعضاً من تلك الاتهامات العامة ، مع أن هناك آراء وانتقادات مكتوبة أرسلت إلى غيثان ، ولم يتأخر عن نشرها كما وصلته مع ذكر ردوده وتعليقاته على ما يرى عدم صحته في حواشي تلك الدراسات .

يجب على الباحث أن لا يغتر بعلمه فيصيبه العجب أو الكبر ، والصحيح أن يضع نفسه دائماً طالب علم مهما ارتفعت درجاته العلمية ، وعلى الباحث المسلم أن يؤلف بحوثه ودراساته ويطلب من وراء ذلك التوفيق والأجر والمثوبة من الله عز وجل ، وهذا منهج علمائنا المسلمين الأوائل ، بل توجيه ديننا الحنيف ، ومن يتصف بهذه الصفة الأخيرة ، فسوف يكون عمله . بإذن الله تعالى . صالح ومفيد للباحث نفسه في الدنيا والآخرة [١].

٥■ نرجو أن نكون واقعيين في أحكامنا وأعمالنا ، وألا نلقي التهم جزافاً على الآخرين ، دون أن نتحقق مما نقول ، ونحن معاشر الباحثين أكثر من يجب الاتصاف بالعدل والتروي في الأحكام والأقوال المعرفية والعلمية ، ومن يتصدر للتأليف فعليه هو أيضاً أن يسير بخطى وئيدة في كل ما يجمع ويدون ، وأن يحرص على البحث عن الحقيقة وتدوينها ، وأن يبتعد عن المغالطات والتدليس ، وأن يبني أقواله على مصادر موثوقة وصادقة .

٦■ أكثر ما جمعنا من معارف ، وأغلب ما كتبنا وألفناه عن مناطق جنوب المملكة العربية السعودية (من مكة المكرمة والطائف شمالاً إلى جازان ونجران جنوباً) ، وهذه الأوطان لم تخدم علمياً وبحثياً بشكل جيد، بل إن هذه المنطقة نفسها تتفاوت فيما كتب عنها [٢] ، وبالتالي فإن جمع تراثها وحضارتها ، ثم التأليف عن أرضها وسكانها يعتبر واجباً على أبنائها المؤرخين والباحثين الجادين . ونرجو أن نرى من طالباتنا وطلابنا في الدراسات العليا بجامعاتنا السعودية من يولي هذه الأوطان اهتماماً كبيراً في بحوثهم ودراساتهم .

---

(١) نسأل الله عز وجل أن نكون من الخائفين الوجلين الذين يطلبون رحمة الله ورضاه في جميع أعمالنا العلمية والعملية . ويعد العمل في ميادين العلم والمعرفة من أجل وأرفع الوظائف ، وبخاصة إذا وضع طالب العلم رضا الله نصب عينيه ، فلا يكتب إلا ما يراه صحيحاً ، ولا يتجرأ على تسخير قلمه وعلمه فيما لا يفيد ، وأن يراقب الله في سره وعلانيته .

(٢) تعتبر منطقة عسير من أكثر البلاد التي دون عنها مؤلفات وبحوث عديدة ، أما المناطق الأخرى مثل : جازان ، ونجران ، والباحة ، ورنية ، وتربة ، والقنفذة ، وما يقع جنوب مكة المكرمة والطائف من قرى وبلدات فما زالت بحاجة ماسة إلى تضافر جهود الباحثين في دراسة تاريخها وأدبها واقتصادها وجميع الجوانب الحضارية فيها . ونأمل أن نرى من يدرس هذه البلدان دراسة علمية أكاديمية وبخاصة أساتذة جامعات الجنوب الممتدة من حواضر الحجاز إلى منطقتي جازان ونجران .

٧ـ ما جمعناه وكتبناه عن هذا الجنوب السعودي ، ليس إلا نماذج قليلة ، مما تشتمل عليه هذه البلاد من الكنوز المعرفية ، ونأمل أن نرى مؤسسات علمية تدعم وتحفظ وتدرس موروث هذه الأوطان الحضارية . وهذا الموروث كثير ومتنوع في مواده العلمية الخام ، وفي بيئاته الجغرافية والبشرية، ومنه الملموس المادي مثل: النقوش والآثار ، والرسومات الصخرية ، أو المخطوطات ، والوثائق ، والصور الفوتوغرافية ، أو ما يمكن مشاهدته على الطبيعة من فنون معمارية وزراعية وتجارية وثقافية وغيرها . وهناك موروث آخر غير مادي ، ويمكن جمعه عن طريق الرواية الشفاهية ، والمشاهدات والدراسات الميدانية ، كالعادات والأعراف، والألعاب والفنون الشعبية ، واللغة واللهجات ، والأحاجي ، والأمثال ، والألغاز ، والحكم ، والأشعار وغيرها .

ثالثاً : تجارب الطباعة :

من أراد أن ينشر بحثاً أو كتاباً ، فلابد أن يقوم بطباعته طباعة أولية بعد الانتهاء من جمع مادته وكتابتها . وهذا ما عرفناه وتدربنا عليه منذ دراستنا لمرحلتي الماجستير والدكتوراه. وبعد عودتنا إلى أبها عام(١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، بدأنا نعد عدداً من البحوث العلمية التي نتطلع إلى الترقي بها في درجاتنا الوظيفية ، كما سعينا إلى كتابة بعض الكتب العلمية والثقافية. وكان لنا إخوة مصريون كرام يعملون على وظائف النسخ في فرع جامعة الملك سعود في أبها ، فهم الذين يقومون بطباعة بحوثنا وكتبنا مقابل أجر مادي ، وكانت طباعتهم على آلة النسخ اليدوية ، وأجرة الصفحة الواحدة (A4) خمسة ريالات ، وأحياناً ثلاثة وأربعة ريالات . ومن أكثر الأساتذة الذين طبعوا دراساتنا منذ عام (١٤٠٩-١٤٢٠هـ / ١٩٨٩-٢٠٠٠م) هم : الأستاذان مُحَمَّد وعمرو ابنا قطب (مصريا الجنسية) ، وقد شكرتهما في مقدمات عدد من مؤلفاتي ، وهناك نساخون آخرون عديدون ، ومن بعد عام (١٤٢١هـ/٢٠٠١م) تعاملت مع أستاذين آخرين كريمين هما: ناصر بن مُحَمَّد خلبان الألمعي، وحسن أحمد السنوسي ، الأول سعودي ، والثاني مصري ، ومازالا حتى الآن يقومان على صف بحوثنا وطباعتها طباعات أولية [١].

---

(١) وفي هذا المبحث أشكر أولئك النساخ القدماء والمتأخرين ، على ما قدموا لنا من خدمات جليلة في صف كتبنا وبحوثنا وطباعتها ، وأيضاً صبرهم علينا ، وأسأل الله عز وجل أن يغفر لنا ولهم ، وأن يرزقنا جميعاً الهدى والتقى والرشاد إنه على كل شيء قدير .

وعندما كنا نقوم بصف بحوثنا عن طريق الآلة اليدوية ، كان هناك كثير من العقبات، لأن أي خطأ في الصفحة يضطر الناسخ إلى إعادة الصفحة كاملة ، وهذا العمل كان شاقاً للناسخ والباحث على حد سواء ، وقد بقينا نعاني من هذه المشكلة حوالي عشر سنوات (١٤٠٩-١٤١٨هـ/١٩٨٩-١٩٩٨م)، ومن بعد ذلك التاريخ أصبحنا نستخدم الكمبيوتر الذي حل لنا مشاكل عديدة في الترتيب ، والتصحيح ، والتعديل .

وصعوبة النسخ على الآلة اليدوية ، وما يقابل الناسخ أثناء إعداد البحوث العلمية ، كان ذلك يسبب تذمراً وعدم تحمل من بعض النساخ الذين كانوا يقومون بطباعة بحوثنا ، وكان بعضهم يعاني من أمراض الضغط أو السكري وبالتالي فهم دائماً في حالة غضب ، ولهذا كنا نعاني معهم فنصبر عليهم ونلاطفهم ، ونجلب لهم بعض الهدايا والأعطيات ، ونقدم لهم بعض الخدمات حتى لا ينفعلوا علينا، وحتى نستكمل طباعة أعمالنا العلمية والاكاديمية[١].

عندما ننتهي من طباعة مسودات بحوثنا أو كتبنا ، ننتقل إلى صفها وطباعتها في المطابع المتخصصة، وبخاصة الكتب ، ففي السابق نرسل النسخة الورقية إلى المطبعة وهي تتولى صفها وتصويرها وطباعتها عندما كنا نعد بحوثنا على الآلة اليدوية ، (الكاتبة) ، وعند استخدام الكمبيوتر أصبحنا نحمل النسخ في شريط ، أو (CD) ، أو فلاش ، مع نسخة ورقية، وأحياناً نرسل النسخة إلكترونياً إلى المطابع ، وهناك يتم إعداد الكتاب وصفه وطباعته في هيئة كتاب [٢].

ولغيثان قصص عديدة مع طباعة كتبه ودعمها مادياً ، ومن تلك القصص ما يلي:

١ عمل غيثان في جامعتين سعوديتين (الملك سعود ، والملك خالد) وحاول تكراراً ومراراً في إدارات هذه الجامعات على أن تتولى طباعة بعض كتبه ، لكنه لم يوفق ، ولم ينجح إلا في طباعة

---

(١) هناك قصص عديدة تدور حول غضب وانفعال النساخ علينا ، وذلك لأسباب واهية ، لكننا دائماً نسعى إلى امتصاص غضبهم باللين واللطف ، وحسن المعشر ، وكانوا إخوة كرام يعودون عن غضبهم ويتأسفون لما صدر منهم ، ويقولون إنه (غصب عنا) لما يعانونه من بعض الأمراض والضغوط النفسية والاجتماعية.

(٢) هناك فنون عديدة في صف الكتب وطباعتها في المطابع ، وقد تعامل غيثان بن جريس مع مطابع عديدة قد تزيد عن عشرين مطبعة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها ، ومن أكثر المطابع التي تعامل معها مطابع داري العلم ، والبلاد في جدة ، ومطابع الفرزق ، والعبيكان ، والحميضي في الرياض . وهناك مطابع أخرى صغيرة في منطقة عسير، وفي بلدان عربية أخرى مثل مصر وغيرها .

دراستين مختلفتين، إحداهما : عن التعليم العام والعالي في منطقة عسير في عهد الملك فهد بن عبد العزيز ، والثانية : عن هجرات بعض القبائل العربية إلى شرق إفريقيا [١].

٢■ سعى الباحث إلى طباعة عدد من كتبه عن طريق بعض النوادي الأدبية في المملكة العربية السعودية مثل: نادي أبها الأدبي ، ونادي جازان الأدبي ، ونادي مكة الثقافي الأدبي ، ونادي الطائف . وهذه النوادي مشكورة طبعت بعض مؤلفات غيثان ، لكن ما طبعته كان نسخاً محدودة لا تتجاوز الألف نسخة ، وربما نادي أبها الأدبي ، ونادي مكة المكرمة طبع ألفي نسخة من كتابين مختلفين .

٣■ اضطر غيثان إلى طباعة بعض كتبه في جمهورية مصر العربية ، وقد واجه العديد من المشاكل ، فيرسل الكتب التي يراد طباعتها ،وعلى حسابه الخاص ، ثم يفاجأ بالمطابع المتفق معها ، فإذا بها تخرج الكتاب في صورة سيئة ، وترسل أعداداً محدودة للمؤلف لا تزيد عن خمسمائة نسخة ، وتحتفظ بأعداد أخرى تتاجر فيها بطريقتها الخاصة . ثم الفسح الإعلامي من قبل وزارة الثقافة والإعلام السعودية ، وكذلك الشحن من مصر إلى السعودية ، كل هذه العراقيل وغيرها عانى منها الباحث كثيراً .

٤■ معظم مؤلفات غيثان بن جريس تم طباعتها بجهود ذاتية من المؤلف نفسه ، فهو ينفق عليها من ماله الخاص ، وهناك بعض التجار والمقتدرين من جنوبي البلاد السعودية ساهموا أيضاً في دعم طباعة كتبه وبحوثه. وكل من قدم لابن جريس دعماً مادياً فهو يذكر في مقدمة المؤلف أو الكتاب الذين ساهموا في دعمه ، والناظر في كثير من مؤلفات غيثان بن جريس يجدها مدعومة من قبل رموز جنوبية سعودية ، ونلحظ بعض المؤلفات يساهم في دعمها الإثنين والثلاثة ، وقد يصل إلى عددهم أحياناً إلى العشرة ، وهناك من دعم كتباً كاملة مثل الأستاذ هيف بن مُحَمَّد بن عبود القحطاني ، والأستاذ/ سليمان بن مُحَمَّد بن حبتر العسيري فلهم جميعاً كل الشكر والتقدير .

٥■ أثناء بحث غيثان عن داعمين لبعض مؤلفاته ، فهو يلتقي ببعض التجار والأغنياء والمقتدرين والوجهاء ، ومنهم من يقول ما هو العائد عليه ، وهذا مطلب وجيه ، فأقول نسلمك ما تريد من

---

(١) عرض الباحث بعض مؤلفاته على عدد من المسؤولين في الجامعتين وبعضهم يستقبله استقبالاً حسناً ، ويعده بوعود جيدة، ثم تتبخر تلك الوعود ، ولا يتحقق أي شيء إيجابي . وللأسف إن دعم البحث والباحثين في بلادنا العربية ضعيف جداً ، مع أن هناك أموالاً كثيرة تنفق في مجالات واهية ولا ترقى إلى مستوى دعم العلم والمعرفة .

النسخ بعد صدور من الكتب ، ونحفظ حقك العلمي (كداعم مالي) في مقدمة الكتاب ، وهذا ما نستطيع فعله . وأغلب من دعمنا ساروا في هذا الاتجاه ، إلا أن بعض من يرغب الدعم يقول عندي موضوع أو دراسة أو كتاب عن كذا وكذا وأريدك أن تكتبه لنا ، وعندما أجاري بعضهم ، أجده يريد إخراج دراسة يمجد فيها أسرته ، أو عشيرته، أو قبيلته ، أو أحد أجداده ، إذا كان من أسرة وجيهة لها تاريخ وأمجاد . وقد حاولت أن أتفاوض مع بعضهم ، وقلت لا بأس ، لكن أعطني ما لديك من أوراق ووثائق وسوف أدرسها وأخبرك بما أرى ، لكن بعضاً ممن يطلب هذا الطلب يرفض ويقول بعضهم سوف أستضيفك في منزلي يومياً أو أسبوعياً حتى تنجز هذا العمل ، وغالباً أرد عليه بالرفض وأقول زودني بما عندك ، وعند الانتهاء من العمل ، أطلعك على ما تم إنجازه ، وهناك شريحة من هذا الفريق يحضرون لي أوراق مبعثرة ، ويقولون نريد دراسة في الموضوع كذا وكذا ، ويذيلون حديثهم بقولهم (**اطلب ما تريد من المال**) ، حتى إن بعضاً منهم لديهم الاستطاعة دفع مئات الآلاف من الريالات .

ونخلص من هذا البند الأخير رقم (٥) بعدد من الدروس ، من أهمها :

أ ■ إن الباحث في العلم والمعرفة وبخاصة الدراسات التاريخية والحضارية يجب أن يستشعر المسؤولية التي يقوم بها ، ويدرك أن علم التاريخ أمانة كبيرة ، فإذا لم يتصف بالأمانة والصدق والخوف من الله في كل ما يكتب فلا يدخل في هذا الميدان الذي قد يجر عليه الويل والثبور في الدنيا والآخرة .

ب ■ كثير من الناس يرى أن علم التاريخ من العلوم السهلة واليسيرة ، لأنه يسرد أقوال وقصص الأولين فقط ، ولا يستشعر أنه علم يحفظ الأنساب والأحداث والموروث الحضاري المتعدد الجوانب ، وإذا كتب التاريخ بروية وإنصاف وبعداً عن الأهواء العامة والخاصة فهو علم مهم وحساس .

ج ■ يدرك القارئ لتواريخ الأمم أن هناك مؤثرات سلبية كثيرة تؤثر على تدوين التاريخ بصورة صادقة وصحيحة ، والمال أحياناً من أهم المؤثرات التي تسير المؤرخ والتاريخ حتى يكتب ما ليس صحيحاً ، بل يتعمد كاتب التاريخ إلى تدوين المغالطات ، والتزييف والتدليس؛ وذلك إذا كان همه مكاسب دنيوية كالمال والجاه وغيرهما . وقد لمست ذلك عند بعض ممن يطلب مني الكتابة في مجال أو موضوع محدد هو يريده ، وعند المناقشة والأخذ والعطاء مع هؤلاء القائلين ، أجد بعضهم لا يتورع أن يقول نريد تدوين كذا، وكتابة كذا ، ونتطلع إلى أن تكون النتيجة كذا . وبعضاً من

الموضوعات التي طرحت علينا ، أعرف تاريخها الصحيح ، ولدينا كثير من الوثائق والمصادر التي تؤكد لنا حقائق معلومة ، وعندما أقول للقائل إن في المصدر الفلاني كذا ، والصحيح هو كذا ، فتراه لا يعجبه كلامي ويجادل ويقول لا ، إن الحقيقة كذا وكذا ، وهو غير صادق من منظور البحث العلمي ، وعندئذ أسدي لبعضهم النصيحة وأقول : هذا مخالف للمنهج العلمي السليم ، كما أنه يتعارض مع شرع الله . عز وجل . ولكن للأسف بعضهم يكابر ويصر على آرائه وأقواله ، وآخرون يتوارون ويتراجعون عن مطالبهم . وأقول إنه يجب على كل مسلم باحثاً أو تاجراً أو وجيهاً أو غنياً أو رمزاً في بلده أو قومه أن يتق الله في كل ما يكتب أو يقول أو حتى ينوي بقلبه . وهذا هو المنهج الرباني الذي نزل في القرآن الكريم ، وقاله وعمل به رسولنا (ﷺ) .

وهناك معارضون لغيثان فيما يسلكه أثناء البحث عن داعمين لمؤلفاته ، فمنهم أكاديميون قالوا له: " **إن طريقتك هذه إساءة وانتهاك للعلم والبحث العلمي** " وعند سؤالهم عن السبب ، قالوا: " **إن المال يجعلك تدلس التاريخ وتتعمد التزييف والمغالطة** " ، وهناك من قال: " **إن كتابة بعض الداعمين في مقدمة الكتاب يضعف مستواه العلمي ، وتقلل من مصداقية ما دون فيه** " وفريق آخر قالوا : " **إن العلم يجب أن يرفع وينزه عن تأثيرات المال والجاه**"[(١)]. وكل هذه الأقوال والآراء جيدة ، ويجب الاستفادة منها ، ومن يسلك مسلك غيثان في دعم كتبه يجب أن يكون واضحاً في أطروحاته ، فإذا كان الداعم لن يقدم دعمه إلا بعد الخضوع للتدليس والتزييف ، فهذا عمل باطل من الداعم ، ومن الباحث إذا وافق على ما طلب منه. أما إذا كان الداعمون ، وهم كثيرون ، يدعمون المشاريع العلمية من أجل الأجر والمثوبة من الله عز وجل عند نشر معارف وعلوم نافعة ، ثم لخدمة بلادهم ودينهم وأهلهم ، وهذا ما عرفه ولمسه غيثان في كل من دعم مؤلفاته .

على المدعوم (غيثان) أن يجازي الإحسان بالإحسان ، وهو شكر كل من ساهم في دعمه ونشر معارف تعود بالفائدة والنفع على البلاد . وكثير من الداعمين لغيثان يرفضون نشر أسمائهم في مقدمات كتبه، ويقولون لا نريد هذا الشيء ، ولكن غيثان يصر على فعل ذلك ،

---

(١) سمع غيثان كل هذه الأقوال وغيرها من أكاديميين مختلفي التخصصات مثل: اللغة والأدب ، والعلوم الشرعية ، والعلوم الإنسانية الأخرى . وهذه آراء جيدة ويجب دراستها والتأمل فيها .

ويقول : " **من لا يرغب ذكر اسمه كداعم فلا نريد دعمه** " ، وهذا ما سلكه ابن جريس في جميع مؤلفاته المدعومة ، ولا يعلم أن أحداً دعمه مادياً لطباعة ونشر أي دراسة إلا وشكره كتابياً في بدايات البحث ، وذكره بخير ، وهذا منهج ديننا الحنيف، فلا يشكر الله من لا يشكر الناس .

رابعاً : تجارب النشر والتوزيع :

عند الانتهاء من طباعة أي كتاب لابد من نشره وتوزيعه ، وعندما يتولى ناشر طباعة كتاب فإنه يتولى أيضاً التوزيع ، وغالباً يُعطى المؤلف عدة نسخ من هذا المؤلف المطبوع تتراوح بين (٥٠ إلى ٢٠٠) أو (٣٠٠ -٤٠٠) نسخة ، وذلك حسب سياسة كل مؤسسة إدارية أو أهلية تقوم بطباعة ونشر الكتب . وهناك من طبع بعض مؤلفاتنا ، ونشرها ووزعها وجني أرباحها ، وعندما رغبنا في الحصول على نسخ من هذا العمل المطبوع نقوم بشرائه من دار النشر التي طبعته مع إعطائنا بعض التخفيضات في الأسعار [١].

والعامل في مجال التأليف ثم الطباعة والنشر يعاني مشاكل عديدة ، مثل: عدم معرفة الأماكن التي تسوق فيها الكتب ، والجهل بفنون النشر والتوزيع ، وما يحتاج الباحث من مال حتى ينشر ويوزع نتاجه العلمي ، وعدم وجود المخازن التي يخزن فيها مؤلفاته حتى يصرفها ويوزعها على من يستفيد منها. **وكون غيثان يعمل في مجال الطباعة والنشر والتوزيع سنوات طويلة ، فلديه بعض التجارب في توزيع مؤلفاته ، والتي نذكر بعضاً منها في النقاط الآتية :**

١■ عرف الباحث أن هناك شركات وموزعين للكتب مثل : الجريسي ، وشركة تهامة للتوزيع ، والدار السعودية للتوزيع ، وغيرها . وقد تعامل مع هذه المؤسسات سنوات عديدة، فعند خروج الكتاب من المطبعة يرسل لهؤلاء الموزعين مئات من النسخ كي يقوموا بتوزيعها داخل المملكة العربية السعودية وخارجها. وبعض هؤلاء الموزعين يعطي المؤلف نصف سعر الكتاب أثناء استلام الكتب ، أي فقط (٥٠%) ، ويتولى الموزع بيع الكتاب . فمثلاً النسخة من الكتاب (٥٠) ريالاً ، يعطى

---

(١) يظن كثير من الناس أن الذي لديه مؤلفات ، فهو ثري لما يجني من أرباح هذه الكتب ، وأقول من تجربة ثلاثين عاماً ، إن تجارة الكتب للمؤلفين كاسدة ، وبخاصة إذا كانت مؤلفاتهم علمية جافة ، والقراء لمثل هذا النوع من المعرفة قليلون ، وللأسف إن المؤلفات والبحوث الهزيلة والتي تدور في فلك الفن والغناء والنساء والأدب الماجن ذات أسواق رائجة، ويحصل أصحابها على أموال كثيرة .

المؤلف (٢٥) ريالاً ، ويبيعه بالخمسين ، وليس للمؤلف أي حق في ذلك . وهناك موزعون وأحياناً مكتبات تجارية مثل: جرير ، والعبيكان ، والرشد وغيرها تأخذ نسخاً من الكتاب تحت التصريف ، ويأخذون نسبة من سعر النسخة تصل إلى (٣٠%) وربما ارتفعت إلى (٤٠%) ، وبعد فترة من الزمن تقوم المكتبات أو الموزعين بجرد ما تم بيعه ويعطون المؤلف حقه من المباع ، وبعد حين يعاد للباحث ما لم يبع[١].

٢ـ إن الذين يقومون بدعم وطباعة كتب غيثان يحصلون على بعض النسخ من المؤلف كي يوزعوها على أصدقائهم ومن يتصل بهم . وهذا ما يفعله الباحث عند خروج أي دراسة مدعومة، فهو يحمل عشرات النسخ منها ويوصلها إلى من دعم نشر الكتاب، وبعض الداعمين يطلب أحياناً زيادة نسخ ، والمؤلف لا يتأخر في تزويده بما يريد .

٣ـ يوجد في المملكة العربية السعودية مؤسسات حكومية مثل: وزارة الثقافة والإعلام ، وأحياناً الديوان الملكي ، ووزارة التعليم العام والعالي ، وبعض المكتبات الحكومية والعامة في الجامعات، والنوادي الأدبية ، ومراكز البحوث العلمية وغيرها فهي تشجع الباحثين السعوديين وتدعمهم في شراء بعض نتاجها ، وبعض من هذه المؤسسات تأخذ ما يتم شراؤه وتحفظه وتفهرسه في مكتباتها ، كالجامعات ، والمدارس ، والنوادي الأدبية . وهناك إدارات أخرى تقوم بتوزيع ما يتم شراؤه على المؤسسات الأكاديمية والتعليمية والتربوية والثقافية السعودية الداخلية والخارجية . ووزارة الثقافة والإعلام أكثر من يقوم بهذا العمل ، ولا يقتصر إهداؤها على المؤسسات الحكومية والأهلية السعودية الداخلية والخارجية ، وإنما ترسل بعضاً من هذا النتاج العلمي إلى جامعات ومكتبات ومؤسسات أخرى عربية وأجنبية ، وذلك من باب التبادل الثقافي والعلمي والفكري والأدبي . والباحث اتصل بهذه المؤسسات وتعامل معها ووجد من بعضها الدعم والتشجيع .

---

(١) تعامل غيثان بهذه الطريقة مع عدد من الموزعين والمكتبات التجارية ، وعندما يعيدون النسخة غير المباعة ، تكون في حالة سيئة ، وأحياناً غير صالحة للاستعمال ، وذلك لأنه تم نقلها من مكان لآخر ، وتم الاطلاع عليها من زبائن كثيرين خلال عرضها في المكتبة ومراكز التوزيع ، وبالتالي أصابها الخراب والتلف . ومثل هذه الكتب المعادة لا يستفاد منها ، إلا إذا تم ترميمها وتجليدها مرة ثانية .

٤ـ مما استفاده غيثان أنه يعمل في مؤسسة التعليم العالي منذ أربعة عقود ، وله اتصال بآلاف الطلاب في مرحلتي البكالوريوس والدراسات العليا ، وله أصدقاء وزملاء أكاديميين في الجامعات ، وأيضاً على صلات بمعارض الكتب التي تشرف عليها الجامعات في أنحاء المملكة ، ولهذا فهو لا يتورع من توزيع نتاجه على من يستفيد منه وبدون مقابل . فمثلاً عندما يصدر له كتاب ، فهو يذهب إلى الرياض لاستصدار فسوحاته الرسمية من وزارة الثقافة ، ثم يرسل لجميع أقسام التاريخ في المملكة نسخاً توزع على أعضاء هيئة التدريس في هذه الأقسام ، كما أنه يذهب إلى المكتبات الجامعية ويعرض عليهم مؤلفه أو مؤلفاته من أجل الحصول على الدعم والتشجيع بالشراء ، وأحياناً ينجح فيشتري منه عشرات النسخ ، وأحياناً يقابل طلبه بالرفض، فلا يتورع من إهداء كل مكتبة جامعية نسخاً من كل مؤلف تتراوح من (١٠-٣٠) نسخة . وهذا المنهج الذي يسلكه المؤلف منذ حوالي عشرين عاماً . كما أن هناك طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ ، فيضع عند كل قسم نسخ من كل مؤلف جديد كي توزع هدايا لطالبات وطلاب برامج الماجستير والدكتوراه .

٥ـ يعاني غيثان من وجود مستودعات يخزن فيها مؤلفاته ولهذا فهو يسعى إلى توزيعها بدون مقابل ، وأحياناً تقام ندوات أو مؤتمرات علمية في أنحاء الجزيرة العربية مثل : ندوات الجمعية التاريخية السعودية، أو ندوات دارة الملك عبد العزيز ، أو ندوات جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي ، وترى غيثان يحضر مثل هذه المؤتمرات ويجلب معه مئات النسخ من مؤلفاته كي يوزعها على المشاركين في تلك المؤتمرات، أو يودعها في بعض المكتبات المركزية أو مكتبات الجامعات في الدول التي تعقد فيها تلك الندوات .

٦ـ منذ عشرين سنة ، والمهرجانات والنشاطات السياحية تقام في جنوبي البلاد السعودية من الطائف ومكة إلى جازان ونجران ، وابن جريس يجتهد في الالتقاء بالقائمين على تلك اللقاءات من أجل شراء بعض مؤلفاته وتوزيعها في تلك المناشط السياحية ، وأحياناً يجد من يدعمه ويشتري بعض كتبه ، وغالباً لا يجد من يدعمه ، فيقدم لتلك المهرجانات مئات النسخ حتى تنتشر وتتوزع على القراء في كل مكان .

خامساً : الخاتمة :

إن ميادين الجمع والتأليف ، والطباعة ، والنشر والتوزيع مجالات متنوعة في مقوماتها، وفي بيئاتها ، وفي الظروف التي تحيط بها ، ومن يعمل فيها مجتمعة يدرك الكثير من الصعوبات العلمية ، والفنية ، والمالية ، والإدارية ، وهذا ما جربه غيثان وعرفه من خلال ممارسته لهذه الأعمال أكثر من ربع قرن . وهناك بعض النتائج والتوصيات التي يسردها الباحث في النقاط التالية :

١■ الجمع والتأليف عملية شائكة لا يستطيع ممارستها إلا من لديه الخبرة والدراية العلمية الكافية ، والباحثين الجادين الجيدين هم الذين يقدرون على ممارستها والنجاح فيها . ومن يعمل في هذا الميدان فسوف يقابل صعاب كثيرة ، لكن بالصبر والاجتهاد والتدريب يستطيع أن يتغلب على كل العقبات .

٢■ الطباعة ، والنشر والتوزيع يكمل كل منهما الآخر ، فأي عمل علمي يطبع لابد أن يُنشر ويوزع ، وتختلف الأساليب والطرق في مهنتي النشر والتوزيع ، إلا أن الهدف من ذلك هو إيصال المادة المطبوعة إلى من يقرأها ويستفيد منها . وعند دخول الإنترنت وتوظيفه في عمليات النشر والتوزيع ، أصبح الكتاب الورقي يعاني من الكساد وعدم الانتشار ، وهذا الركود لم يكن موجوداً في الأزمنة الماضية [١].

٣■ إن الممارس لأعمال التأليف ، والطباعة ، والنشر يواجه عدم الرضا ، وأحياناً الغيرة والحسد من المماثلين له في المهنة نفسها ، ويجب على من يعمل في هذه الأعمال أن يجتهد ، ويكون عمله متقناً مميزاً حتى يسير في ركاب النجاح والتطور المادي والمعنوي .

٤■ هذه نماذج من تجارب غيثان في هذه المجالات الثلاثة (الجمع والتأليف ، والطباعة ، والنشر والتوزيع)، ويرجو من الله أن يكون قد وفق في نقل بعض خبراته إلى طلبة البحث العلمي ، وإلى من يسعى للعمل في هذه الميادين العملية والعلمية . (والله من وراء القصد) .

---

(١) اتصل غيثان بالعديد من الناشرين والموزعين داخل المملكة العربية السعودية وخارجها فتراهم يشتكون من ركود بيع الكتب الورقية ونشرها ، وهذا مما أثر على المؤلفين والمطابع التي تصدر كتب ورقية في مجالات معرفية عديدة .